

# ساعات الليل و النهار في القرآن الكريم قراءة في أسلوب الخطاب

د. نوري كاظم الساعدي

قسم اللغة العربية / كلية التربية (ابن رشد) / جامعة بغداد

**Research Summary: hours of the day and night in the Koran-read in the style of discourse-**

**D. Nuri al-Kazem al-Saadi**

**Baghdad University / College of Education (Ibn Rushd)**

## خلاصة البحث

يريد أن يبحث في اتساق تلك الساعات مع منظومة الأعجاز البياني للقرآن الكريم. وطريقة التعبير بها ، التي تصير النص متفردا من غيره من نصوص ، والبحث عن ذلك التفرد، والوقوف عند السمات اللغوية التي يتميز بها النص من غيره، ورصد عناصره الجمالية ، وتوظيف منهج تحليلي للنص القرآني، الذي يختلف عن النص البشري ، كونه نصا مقدسا.

ومن أجل هذا تتخذ الدراسة من البحث في أسلوب الخطاب سبيلا في بيان أواصر العلاقة بين ساعات الليل والنهار في القرآن الكريم ، ودلالاتها- بوصفها ألفاظا للزمن- اعتمادا على ثوابت تلك العلاقة في اللغة ، والسعي لاستكناه مضامينها ، على وفق منهج يأخذ بالبنية اللغوية التي يتشكل منها النص ، وعلاقتها بالنصوص القرآنية الأخرى ، والوقوف عند ثابت الدلالات ، ومتغيرها في الآيات الكريمة، وإنعام النظر في مراعاة مقتضى الحال في سياق النظم في أثناء توظيف اللفظ.

## **ABSTRACT**

Wants to look at the consistency of those hours with system Miracles chart of the Holy Quran. And mode of expression out, which becomes the text unique from other texts, and search for that exclusivity, and stand at the linguistic features that characterize the text of the other, and monitoring components aesthetic, employing approach analytical Quranic text, which differs from the text of the human, as a sacred text. For this to take the study of research in the style of the speech path in a statement ties between night and day in the Koran, and implications- as verbally of time- depending on the constants of this relationship in the language, and the quest for Acetknah contents, according to curriculum takes structure of language, formed including text, and its relationship with other Koranic texts, and stand at the fixed signs, Mtgerhain verses, and peer into the mind appropriate in the context of systems in during recruitment pronunciation.

## **تقديم :**

الزمن عنصر فاعل في الحياة، له حضور في مناحيها كافة. به تنتظم حركة الكون، وفي أفقه يسير الإنسان. الذي يسعى سعيا حثيثا من أجل معرفة كنهه ، وسبر أغواره. فهو يتأثر بحركته ، وحوادثه ، وهو أداة من أدوات الفكر عنده ، وبوساطته ، يظهر مفهومه للحياة والوجود.

وقد سعت الدراسات باتجاهاتها المختلفة للبحث فيه، فكان حاضرا في الفكر الفلسفي ، وفي الفن والأدب. ولا ريب أن نجد له حضورا بيّنا في كتاب الله القرآن الكريم الذي جاء بأساليب، لا تفنى على تقادم الأزمنة ،

وتجدد الأمكنة ، وظهرت في فضاءاته الرحبة كثير من الألفاظ ، التي تولف منظومة الإعجاز القرآني ، وبقينا أنّ كلّ لفظة في القرآن الكريم ، تؤدي مقصداً أسلوبياً ، تتسق به مع غيرها. ومن هذه الألفاظ: ألفاظ الزمن ، وهي تختلف فيما بينها، وهذا الاختلاف ، يظهر في المدة الزمنية، أو الوقت الذي تشير إليه .

وإذ يلتفت البحث إلى أسلوب الخطاب بساعات الليل والنهار، وتقديم ساعة على أخرى ضمن النص القرآني ، إنّما يريد أن يبحث في اتساق تلك الساعات مع منظومة الأعجاز البياني للقرآن الكريم. وطريقة التعبير بها، التي تصير النص متفرداً من غيره من نصوص، والبحث عن ذلك التفرد، والوقوف عند السمات اللغوية التي يتميز بها النص من غيره، ورصد عناصره الجمالية، وتوظيف منهج تحليلي للنص القرآني، الذي يختلف عن النص البشري، كونه نصاً مقدساً، لأنّ مرجعيته الحق تعالى: ((قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)) [الكهف/ ١٠٩].

ومن أجل هذا تتخذ الدراسة من البحث في أسلوب الخطاب سبيلاً في بيان أواصر العلاقة بين ساعات الليل والنهار في القرآن الكريم، ودلالاتها- بوصفها ألفاظاً للزمن- اعتماداً على ثوابت تلك العلاقة في اللغة، والسعي لاستكناه مضامينها ، على وفق منهج يأخذ بالبنية اللغوية التي يتشكل منها النص، وعلاقتها بالنصوص القرآنية الأخرى، والوقوف عند ثابت الدلالات، ومتغيّرها في الآيات الكريمة، وإنعام النظر في مراعاة مقتضى الحال في سياق النظم في أثناء توظيف اللفظ.

ومن ضمن ما ورد في القرآن الكريم ، ألفاظ للزمن، تختص بساعات الليل والنهار: كالشروق ، وبكرة ، والغدو، والضحي ، والظهيرة ، والرواح ، والعصر، والأصيل، والعشي، والغروب والشفق، والغسق ، والزلفة، والسحر، والفجر، والصبح، والإصباح. وهي تختلف فيما بينها من حيث المدة الزمنية الذي تشير إليه ، بيد أنّ الجامع لها أنها تدلّ على الزمن طال أو قصر، فالسياق هو الذي، يوضح الدلالة الزمنية للفظ. وهنا نعلم النظر في ساعات الليل، والنهار، وأسلوب الخطاب بها في كتاب الله، لننتبين آثارها فيه. وتمّ الالتفات إلى ساعات الليل بداءة، ثمّ ساعات النهار، لأنها وردت في القرآن الكريم على هذا النحو. وأكثر هذه الألفاظ، لم تأت بالصيغة الفعلية التي تدلّ على التجدد والحدوث، بل جاءت بالصيغة الاسمية، التي تدلّ على الثبوت، فهي زمن ثابت ضمن الزمن المتغيّر، فجيء اللفظ في صورة الاسمية يدلّ على ثبوت المعنى ودوامه فيفيد التكرار المستمر ، وبصيغة أخرى، هي زمن ثابت عند النظر إليها في حقل الألفاظ (الاسمية، والفعلية). وزمن متغيّر عند النظر إليها ضمن حركة الزمن الكوني. من أجل هذا لدينا زمان: ثابت (اسمي)، ومتغيّر (كوني) والدراسة -هنا- تلتفت إلى أسلوب الخطاب بهذين الزمنين.

### **مفهوم لفظة الزمن:**

ووردت مادة (زمن) في معاجم اللغة بدلالات متعددة، فالزمن، هو الفضا: المتبدد. ويقولون: أزمن الشيء: مضى عليه الزمان فهو مزمّن. والزمنُ والزمانُ: اسمٌ لقليل الوقت وكثيرة، ويجمع على أزمانٍ وأزمنةٍ وأزْمَنٍ. ولقيته ذات الرّمَيْنِ، تريد بذلك تراخي الوقت، كما يقال: لقيته ذات الغويم أي: بين الأعوام. ويقولون: عاملته مُزَمَّنَةً من الرّمَنِ، كما يقال مشاهرةً من الشهر. وأزمن الله فلاناً فهو زمن، و زمين، أي: مريض، وعلى هذا، ويقولون: هم زمنة وزمني، وزمنزماً، أي مريض مرضاً، وزمانة بمعنى مريضة. والزمانَةُ: أفة في الحيوانات. ورجلٌ زَمِنٌ، أي مُبْتَلَى بَيْنَ الرّمَانَةِ. <sup>(١)</sup> ويقال عن المرض الذي لا شفاء منه: مرض مزمّن .

ومما يرتبط بلفظتي الزمن، والزمان لفظة الدهر التي ترد متداخلة معهما، فقالوا: الدهرُ والزمان واحد، بيد أنهم اختلفوا في مدتهما، فقال أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ): ((الفرق بين الدهر، والزمان: هما في اللغة مترادفان. وقيل:

الدهر طائفة من الزمان غير محدودة، والزمان مرور الليالي والأيام. وقال الأزهري: الدهر عند العرب يطلق على الزمان، وعلى الفصل من فصول السنة، وعلى أقل من ذلك، ويقع على مدة الدنيا كلها. قال: وسمعت غير واحد من العرب يقول: "أقمنا على ماء كذا دهرًا، وهذا المرعى يكفيننا دهرًا". ولا يخفى أن إطلاق الدهر على الزمن القليل من باب المجاز والاتساع وقالت الحكماء: الدهر هو الآن الدائم الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان، و به يتجدد الأزل والأبد. والزمان مقدار حركة الفلك الأطلس... الدهر مدة الأشياء الساكنة، والزمان: مدة الأشياء المتحركة، يقال: الزمان مدة الأشياء المحسوسة، والدهر: مدة الأشياء المعقولة. ((<sup>(١)</sup> فرأوا أن الزمان زمان الحر والبرد، و زمان الرطب والفاكهة. وأن الزمان يكون شهرين إلى ستة أشهر، في حين أن الدهر مستمر لا ينقطع، وعلى هذا ((الزمان هو مقدار حركة الفلك الأطلس عند الحكماء، وعند المتكلمين: عبارة عن متجدد يقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس، فإن طلوع الشمس معلوم ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال الإيهام.))<sup>(٢)</sup>

ومن الجدير بالذكر أن لفظة: الزمان، والزمان لم يأت القرآن الكريم إلى ذكرها، وهذا الأمر ربما له علاقة بدلالاتها غير المحببة في النفوس عند العرب قبل الإسلام، مما سوغ ألا ترد في كتاب الله. ومما تقدم يمكن القول إن ((البحث في دلالة الألفاظ، ونشأتها وتطورها معين لا ينضب لعلماء الأسلوب، فتوفر عدد كثير من هؤلاء العلماء، وبحثوا كل ما يتصل باللفظة ودلالاتها. وازدهار إحدى الدلالات، وانكماش الأخرى، ولم يكن هذا البحث وقفا على زمن دون آخر.))<sup>(٤)</sup> وهذا المفهوم للدلالة الزمنية لساعات الليل، والنهار، ظهر عند علماء اللغة في أثناء دراستهم، فثمة ألفاظ تنصوي تحت ألفاظ الزمن، كالساعة، والليل، والنهار. لنا أن نلتفت إليها على النحو الآتي:

### أولاً: الساعة، والليل، والنهار :

تعد الساعة الوحدة القياسية للزمن، وجاء عن العرب أنهم ذكروا ساعات النهار، والليل على أربع وعشرين لفظة، فقد ذكر الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) تلك الساعات عندما قال: ((ساعات النهار: الشروق، ثم البكور، ثم الغدوة، ثم الضحى، ثم الهاجرة، ثم الظهيرة، ثم الرواح، ثم العصر، ثم القصر، ثم الأصيل، ثم العشي، ثم الغروب. ساعات الليل: الشفق، ثم العسق، ثم العتمة، ثم السدفة، ثم الفحمة، ثم الزلّة، ثم الزلقة، ثم البهرة، ثم السحر، ثم الفجر، ثم الصبح، ثم الصباح.))<sup>(٥)</sup> وأشار إلى أن باقي أسماء الأوقات تجيء بتكرير الألفاظ التي معانيها منقّفة. وسيتم الالتفات إلى الساعة كونها القسيم الذي يجتمع الزمن فيه بين طرفي الليل والنهار.

### أ: الساعة:

جزء من أجزاء الزمن، وهي من أجزاء الليل والنهار، وتُجمع على ساعات، وساعٍ، وتصغيرها سويعة، ويقال: أسوع من الساعة<sup>(١)</sup>. ولها علاقة بالوقت، بيد أن ثمة فرقا بينهما (( الفرق بين الساعة والوقت: أن الساعة هي الوقت المنقطع من غيره، والوقت اسم الجنس ولهذا تقول إن الساعة عندي، ولا تقول الوقت عندي.))<sup>(٢)</sup>. وقد وردت لفظة (الساعة) في القرآن الكريم، فهي عندما لا تُعرف بـ(أل) التعريف، تكون جزء من أجزاء الزمان، كقوله تعالى: ((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)) (الأعراف/٣٤) ويظهر هذا الأمر على نحو بَيّن عندما يكون الخطاب بلفظ (ساعة) مقترنا بلفظة بالنهار في قوله تعالى: ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)) [يونس/٤٥]. أما عندما تُعرف لفظة (ساعة) بـ(أل) التعريف في القرآن الكريم، فإن الخطاب بها يختلف، فتشير إلى يوم القيامة، كقوله تعالى: ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ)) (الأنعام/٣١). ويجتمع في الخطاب القرآني دلالة لفظة: (الساعة) من دون أن

يُصرح بها، التي تشير إلى يوم القيامة، ولفظة (ساعة) التي تشير جزء من أجزاء الليل والنهار في قوله تعالى: ((قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ)) (سبأ/٣٠). فقوله تعالى: ((مِيعَادٌ يَوْمٍ)) يراد منه يوم القيامة. بيد أن الخطاب القرآني يجمع اللفظتين على نحو صريح في قوله تعالى: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)) (الروم/٥٥). فالساعة: الأولى (السَّاعَةُ) تشير إلى يوم القيامة، والثانية (سَاعَةً) تشير إلى الساعة الزمنية، وهو الوقت القليل من الزمان. (الحياة الدنيا) وهي زائلة، وعند قراءة أسلوب الخطاب القرآني، يمكن القول: أن الأولى لفظة (السَّاعَةُ): جاءت معرفة، لأنها معلومة في وقتها عند الله، وتكون أهوالها عظيمة ((بَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)) (الحج/١). ثم أنها أكثر اتساعاً من جهة الزمن؛ لأنها تومئ للأخرة، وقد قال تعالى: ((وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)) (الحج/٤٧). وأسند فعل القيام لها، تبييناً لأثرها، مع أن الفاعل الحقيقي لها الحق سبحانه وتعالى القائل: ((إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) (يس/٨٢).

**أما الثانية لفظة (ساعة):** فإنها جاءت نكرة- وإن أضيفت لغير التي تُعد ملازمة للإضافة- لأنها معلومة في وقتها عند المجرمين، فهي أقل اتساعاً من جهة الزمن؛ لأنها تومئ للدنيا، وقد وصف الحق تعالى ساعتهم بقوله: ((يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ)). وكانت الفاعلية لهم، وأنهم غير مكترئين لأي ساعة يحيون، فالأمر سياتي عندهم: ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ)) (البقرة/٩٦). يزداد على هذا، أن قسمهم لم يظهر بأي صيغة أقسموا، فلم يلتفت إلى ذلك عندما لم تذكر صيغة القسم. فهم في ذلك المشهد العظيم، لا يقبل منهم شيء. وقد وصف الحق تعالى أهوال يوم القيامة في قوله: ((وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)) (البقرة/١٢٣).

مما تقدم يمكن القول أن الخطاب بلفظة (الساعة) في القرآن الكريم، يصب في اتجاهين: الأول يشير إلى الحياة الدنيا عندما يأت بلفظة (ساعة). أما الاتجاه الآخر فيشير إلى الحياة الآخرة عندما يأت بلفظة (الساعة). مع أن الراغب الأصفهاني يذكر أن الساعات التي، تشير للقيامة ثلاث: ((الساعة الكبرى وهي بعث الناس للمحاسبة، وهي التي أشار إليها بقوله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش، والتفحش، وحتى يعبد الدرهم والدينار" إلى غير ذلك. وذكر أموراً لم تحدث في زمانه ولا بعده. والساعة الوسطى وهي موت أهل القرن الواحد، وذلك نحو ما روى أنه رأى عبد الله بن أنيس، فقال: "إن يطل عمر هذا الغلام لم يموت حتى تقوم الساعة ثقيل إنه آخر من مات من الصحابة. والساعة الصغرى، وهي موت الإنسان فساعة كل إنسان موته، وهي المشار إليها بقوله: ((قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً)) (الأنعام/٣١). ومعلوم أن هذه الحسرة، تنال الإنسان عند موته... وعلى هذا قوله: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ)) (الأنعام/٤٠). وروى أنه كان إذا هبت ريح شديدة تغير لونه عليه السلام فقال: "تخوفت الساعة" وقال: "ما أمد طرفي ولا أعضها إلا وأظن أن الساعة قد قامت". (يعنى موته).<sup>(٨)</sup>

من أجل ذلك، يظهر لنا أن لفظتي: (الساعة) و(ساعة) في النص القرآني، اكتسبتا دلالتهم من السياق، وليس بوصفهما ألفاظاً مفردة، يراد منهما الجانب البيديعي عندما عدّهما البلاغيون محسناً لفظياً، فقالوا أنهما من الجنس، ولم يلتفتوا إلى أثرهما الدلالي في النص في حين أن عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) يرى خلاف ما قال به البلاغيون، عندما قال: ((فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة، وبخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما شابه مما لا تعلق بصريح اللفظ.))<sup>(٩)</sup>. فلكل لفظة معنيان، معنى معجمي، وآخر معنى سياقي، وهو الذي تأخذ اللفظة عندما توضع في سياق يحدد معنى الجملة، وهنا يكون السياق مسؤولاً عن منح المعنى

اللفظة. لأن ((عملية التواصل تحصل بنجاح إذا اجتمعت لها ثلاثة أركان أساسية هي المتكلم والمخاطب، ومراعاة المقتضيات المختلفة، وهي الطبيعة البشرية ومتطلباتها الفسيولوجية والنفسية والعقلية. والخطاب القرآني عكس كل مظاهر الحياة العربية فتبنت بعضها وغير بعضها منها.)).<sup>(١٠)</sup>

## ب: الليل، والنهار:

الليل جَمَعَ، وواحدته ليلة. وقد يُجمع على ليالٍ وتصغيرها لَيْلِيَّة. ويقال لَيْلٌ أَلَيْلٌ: شديدُ الظلمة. ويقولون ليلةً لَيْلَاءٌ وليلٌ لائلٌ، في التأكيد.<sup>(١١)</sup> وقد أتى القرآن الكريم إلى ذكر الليل للإشارة به إلى الزمن، كقوله تعالى: ((وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَادْبَارَ النُّجُومِ)) [الطور/٤٩]. ويتم تخصيص الزمن، فيراد به، بعض الليل أو وقتي المغرب والعشاء في قوله تعالى: ((وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا)) [الإنسان/٢٦]. ويكون الخطاب بلفظة الليل ويراد بها ساعاته مطلقاً من دون أن يتم الإشارة إلى أوقاته عندما تقترن بها لفظة (أثناء) في قوله تعالى: ((لَيْسُوا سَوَاءً مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ)) [آل عمران/١١٣]. وهذا السبيل، يظهر عندما تقترن بها لفظة (قطع) في قوله تعالى: ((فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ)) [الحجر/٦٥]. وقوله تعالى: ((قَالُوا يَا لَوِطُ إِنَّا رُسلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ)) [هود/٨١]. فلم يتم تخصيص أي ساعة من ساعات الليل في الآية الكريمة. عندما اقترنت لفظة الليل بلفظة (قطع) بمعنى: جزء في قوله: ((بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ)) أي: (بظلمة من آخر الليل)).<sup>(١٢)</sup> في معرض الرحمة، ونجاة المؤمنين. بيد أن الدلالة الزمنية للفظ ليلة، قد تختفي فتظهر دلالة أخرى، هي الدلالة اللونية، وهي الظلمة (السواد) في قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَزْهَفُهُمْ نِزْلَةٌ مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [يونس/٢٧]. فتم تخصيص المراد بالليل، وهو الظلمة (السواد) في قوله (قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) في معرض العذاب الذي يصيب الكافرين في جهنم في باب التشبيه. فاختلف أسلوب الخطاب في الآيتين لأن كلاً منها له سبيل يختلف عن الآخر. الأول في الحياة الدنيا: (بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ)، والآخر في الآخرة: (قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا).

ومثلاً كان الخطاب بلفظة الليل، جاء الخطاب بالليلة، وهي مفرد لفظة الليل في قوله تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)) [القدر/١]. ويقترن خطاب (ليلة) بالعدد إلا أنها تبقى مفرداً، فتصبح معدوداً في قوله تعالى: ((وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِّمَّاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)) [الأعراف/١٤٢]. وهذا المفرد يأتي مجموعاً، عندما تُجمع ليلة على ليالٍ في قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبْرًا فِيهَا لَيْالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ)) [سبأ/١٨]. ولكن هنا ثمة تضاد يظهر في الآية الكريمة على نحو غير مباشر بين لفظتي: (ليالي)، و(أياماً) التي تشير إلى النهار، وهو ضدُّ الليل، فالنهار هو (الوقت الذي ينتشر فيه الضوء، وهو في الشرع ما بين طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس، وفي الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها).<sup>(١٣)</sup> وجاء الخطاب في القرآن الكريم بلفظ النهار للإشارة للوقت الذي ينتشر فيه الضوء في قوله تعالى: ((إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا)) [المزمل/٧]. ويكون للنهار وجه في إشارة لأوله في قوله تعالى: ((وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) [آل عمران/٧٢]. وفي تفسير الآية المباركة، يقول الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): ((وجه النهار واكفروا آخِرَهُ. واختلف في معناه على

أقوال،(أحدها):أظهروا الإيمان لهم أول النهار، وارجعوا عنه في آخره فإنه أحرى أن ينقلبوا عن دينهم عن الحسن وجماعة،(وثانيها):آمنوا بصلاتهم إلى الكعبة أول النهار،واكفروا آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم عن مجاهد،(وثالثها):أظهروا الإيمان في صدر النهار بما سلف لكم من الإقرار بصفة محمد ﷺ) ثم ارجعوا في آخره لتوهموم أنه كان قد وقع غلط في صفته)).(١٤) فأمسى للنهار وجه زيادة في إظهاره،ويمسى النهار مبصرا في قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ)) [يونس/٦٧].فتم إسناد الإبصار إلى النهار مجازا؛ لأنه يُبصر فيه.ويسند الإبصار لآيتي الليل والنهار،لندلا على قدرته سبحانه وتعالى، فأية الليل محا الحق سبحانه نورها بالظلام،وجعل آية النهار مبصرة، أي مبصرا فيها بالضوء،وهذا يبدو في قول الحق:(وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِئَتَّبِعُوا فُضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً)) [الإسراء/١٢].وتتضح قدرته العظيمة سبحانه وتعالى في خلق الليل، والنهار، ويظهر تلك القدرة عندما يأتي الخطاب بأسلوب الاستعارة في فصل الليل عن النهار عن طريق الفعل(نسلخ)وما على المتلقي إلا يتأمل تلك العملية،ويجمع بين الصورتين (عملية السلخ)، و(انفصال الليل عن النهار) كل هذا بدا في قوله تعالى:(وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ)) [يس/٣٧] .

مما تقدم،يمكن القول أنه غالبا ما يكون الخطاب بالنهار مقترنا بالليل،ولكن بصور متعددة، منها قول الحق تعالى:(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا)) [الفرقان/٤٧]. فأمسى الليل لباسا:أي أنه يستركم بظلامه كما يستركم اللباس،وصار النوم سباتا،أي راحة للأبدان، وجعل النهار نشورا ، أي: يُنتشر فيه لا ابتغاء الرزق. (١٥)

وجاء الخطاب بلفظتي الليل، والنهار، فمثلا عنصرا من عناصر التضاد، ولكن بأسلوب آخر بين(الليل- الضياء) فالليل يشار به للظلمة،والضياء يشار به للنهار في قوله تعالى:(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ)) [القصص/٧١]. ويظهر التداخل والتواصل بينهما على نحو آخر عندما يزيد كل منهما بما ينقص من الآخر،للاشارة إلى عظمة الخالق- سبحانه وتعالى-وتمكنه من خلقه،فقال تعالى:(تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)) [آل عمران/٢٧].وجاء في تفسير هذه الآية الكريمة في مجمع البيان: ((قيل في معناه قولان:(أحدهما):أن معناه ينقص من الليل،فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار، وينقص من النهار، فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل على قدر طول النهار وقصره. عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين.(والآخر):معناه يدخل أحدهما في الآخره بإتيانه بدلا منه في مكانه)).(١٦)

## ثانيا:ساعاتُ الليل:

### ١-الشفقُ:

من ساعاتُ اللَّيْلِ:و((هو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس)).(١٧) أو هو بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة،والشفقُ:-أيضا- الحمرَةُ من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة،فإذا ذهب قيل:غاب الشفق.ومن العرب من يقول:عليه ثوبٌ كأنه الشفقُ،وكان أحمر.والشفقةُ:الاسمُ من الإشفاق،وكذلك الشفقُ.(١٨)وجاء الخطاب(بالشفق)لمرة واحدة في قول الحق تعالى:(فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ)) [الانشقاق/١٦].ويبين الشيخ الطبرسي(ت٥٨٤هـ) دلالتها،عندما يقول:(بالشفق:أي بالحرمة التي تبقى

عند المغرب في الأفق. وقيل: (البياض)).<sup>(١٩)</sup> ويلاحظ -هنا- أنه لم يتم بيان المراد بالشفق على وجه الدقة، وهذا الأمر نجده في تفسير البحر المحيط، عندما يذكر أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) أوجه الاختلاف تلك، فالشفق يُراد به البياض الذي يتلوه الحمرة، أو هو الشمس، أو ما بقي من النهار.<sup>(٢٠)</sup> ولعل ذلك الاختلاف، يرجع إلى اقتران الأفق الزمني بالدلالة اللونية، وهذا الخلط كان حاضراً في معاجم اللغة. إذ لم يتم بيان المراد بالشفق على نحو بَيِّن فيها.

## ٢- العَسَقُ:

أول ظلمة الليل. يقال لها: العَسَقُ. وعَسَقَ الليل، يَعْسِقُ: أي شديد، الظلمة، والغاسق الليل المظلم، إذا غاب الشفق. وَعَسَقَتْ عينه عَسَقاً: أظلمت. وَأَعَسَقَ المؤذن، أي: أحرَّ المغرب إلى عَسَقِ الليل. والعَسَاقُ: البارد المنْتِنُ.<sup>(٢١)</sup> وجاء الخطاب (بالعَسَقِ) لمرة واحدة في قول الحقِّ تعالى: ((أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)) [الإسراء/ ٧٨]. فدلكت الشمس، أي: غربت فمن وقت زوالها (إلى عَسَقِ الليل) إقبال الظلمة، أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر، سميت قرآناً، لأنها ركن، وهو القراءة الذي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، والآية جمعت للصلوات الخمس.<sup>(٢٢)</sup> وجاء الخطاب (بعاسق) لمرة واحدة في قول الحقِّ تعالى: ((وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ)) [الفلق/ ٣]. تشير لفظة: غاسقٍ إلى الليل إذا دخل بظلامه أو القمر إذا غاب أو إذا كسف فاسود (وإنما اختص الليل بالذكر، لأنَّ الغالب أن الفساق يقدمون على الفساد بالليل، وكذلك الهوام والسباع تؤذي فيه أكثر، وأصل العسق الجريان بالضرر. وقيل إن معنى الغاسق كلُّ هاجم بضرره كأننا ما كان)).<sup>(٢٣)</sup>

## ٣- العَتَمَةُ:

من ساعات الليل: العَتَمَةُ، يقال: لوقت صلاة العشاء، وجاء في معجم العين: ((العَتَمَةُ: هو الثلث الأول من الليل بعد غيوبة الشفق. أعتم القوم إذ صاروا في ذلك الوقت)).<sup>(٢٤)</sup> وقد عَتَمَ الليل يَعْتِمُ. وَعَتَمَتُهُ: ظلامه. والعَتَمَةُ أيضاً: بقية اللبن تُثَقِّقُ بها النَّعْمُ تلك الساعة. وَعَتَمْنَا تَعْتِمًا: سِرْنَا في ذلك الوقت.<sup>(٢٥)</sup> ولم يأت القرآن الكريم إلى ذكر هذه الساعة، بصيغها المختلفة.

## ٤- السُدْفَةُ:

من ساعات الليل: السُدْفَةُ: طائفة من ظلام الليل، والسُدْفَةُ في لغة نجد: الظلمة، وفي لغة غيرهم الضوء؛ وهو من الأضداد. وكذلك السُدْفُ. وبعضهم يجعل السُدْفَةَ اختلاط الضوء والظلمة معاً، كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار. وقد أسدَفَ الليل، أي: أظلم. والسُدْفُ: ظلام الليل أو سواد شخصٍ تراه من بعيد. والسُدْفُ أيضاً: الصُّبْحُ وإقباله، وأسَدَفَ الصُّبْحُ، أي أضاء.<sup>(٢٦)</sup> ولم يأت القرآن الكريم إلى ذكر هذه الساعة، بصيغها المختلفة.

## ٥- الفَحْمَةُ:

الفَحْمُ، الواحدة فَحْمَةٌ. ويقال للفَحْمِ فَحِيمٌ. وَفَحْمَةُ العِشَاءِ: ظَلْمَتُهُ. ويقال: أَفْجَمُوا من الليل، أي: لا تسيروا في أول فَحْمَتِهِ، وهي أشدُّ الليل سواداً. والنَّفْحِيمُ مثله. وشعرٌ فَاحِمٌ، أي أسود. وَفَحَمَ وَجْهَهُ تَفْحِيمًا: سَوَدَهُ.<sup>(٢٧)</sup> ولم يأت القرآن الكريم إلى ذكر هذه الساعة، بصيغها المختلفة.

٦- الرُّزْلَةُ: زوال الشمس: ذهابها، فيقولون: زاولت الشمس زوالاً. ورُزِلْتُ الشيء أُرِيْلُهُ رِيْلًا، أي: مرَّته وفرَّقته. ويقال: رَزَيْلَتُهُ فَرَزَيْلٌ، أي فرَّقته وفرَّق، ومنه قوله تعالى: ((وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَرَزَيْلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَاعِبُونَ)) [يونس/ ٢٨]. والمَزَايِلَةُ: المفارقة. يقال: زَايَلَهُ مَزَايِلَةً وزِيالاً، إذا فارقه. والترَّايِلُ: التباينُ.<sup>(٢٨)</sup> ولم يأت القرآن الكريم إلى ذكر هذه الساعة، بصيغها المختلفة.

## ٧- الرُّزْفَةُ:

من ساعات الليل: الزُّفَةُ: وهي الطائفة من أول الليل، والجمع زُفٌ، وزُفَاتٌ. وقيل لمنازل الليل: زُفٌ، وليلة المزدلفة خصت بذلك لقرينهم من منى بعد الإفاضة. (٢٩) وجاء أسلوب الخطاب بها في القرآن الكريم للدلالة على الرّمن لمرّة واحدة ضمن الآية الكريمة في قوله تعالى: ((وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُفَاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِبُنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ)) [هود/١١٤]. فإنّ الخطاب كان ب(زُفَا) وهي: جمع زُفَةٍ، وهي الساعة القريبة من أختها، ويراد بها ساعات (من الليل) المغرب والعشاء، وأهي ساعاته القريبة من آخر النهار، وقد اتسقت مع ساعات أخرى، بدت في (طرفي النهار) غدوة وعشية أي: الصبح والظهر والعصر، وجاء في الكشاف: ((وصلاة الغدوة: الفجر، وصلاة العشيّة: الظهر، والعصر؛ لأنّ ما بعد الزوال عشي، وصلاة الزُف: المغرب، والعشاء)). (٣٠)

٨- البُهْرَةُ:

جاء في الصحاح ((بُهْرَةُ الليل والوادي والفرس: وَسَطُهُ...وابهَارُ الليل ابهيراراً، أي: انتصف، ويقال ذهب مُعظمه وأكثره، وابهَارٌ علينا الليل ابهيراراً: طال)). (٣١) ولم يأت القرآن الكريم إلى ذكر هذه الساعة، بصيغها المختلفة.

#### ٩- السَّحَرُ:

من ساعات الليل: السَّحَرُ والسَّحْرَةُ اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار، ويُقال أنّ السَّحَرُ الوقت الذي يكون قبل طلوع الفجر، ولقيته: سحراً وسحرة وبالسحر، وأسحرنا مثل أصبحنا واستحروا: خرجوا سحراً. وجعل اسماً لذلك الوقت ويقال: لقيته بأعلى السحرين والمُسحر الخارج سحراً، وإنما سمي السحر استعارة؛ لأنه وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفس الصبح. والسحور اسم للطعام المأكول سحراً، والتسحر أكله في ذلك الوقت. (٣٢) وكان الخطاب بها في القرآن الكريم في موضعين بلفظة (الأسحار) جمع سَحَر، وهو الوقت الذي يكون قبل طلوع الفجر أصله الخفاء لخفاء الشخص في ذلك الوقت، وقد خصت هذه الساعة بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة، وفيها تظهر لذة النوم. وجاءت في قوله تعالى: ((الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْفَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ)) [آل عمران/١٧]. وقوله تعالى: ((وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)) [الذاريات/١٨]. وجاء في تفسير مجمع البيان في شأن المستغفرين بالأسحار: إنها في ((المصلين وقت السحر عن قتادة، ورواه الرضا عن أبيه [عن أبي عبد الله، وقيل: السائلين المغفرة في وقت السحر عن أنس، وقيل: المصلين صلاة الصبح في جماعة عن زيد بن أسلم، وقيل: الذين ينتهي صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرونه و يدعون عن الحسن، و روي عن أبي عبد الله: أنّ من استغفر الله سبعين مرة في وقت السحر، فهو من أهل هذه الآية، وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنّه قال: إنّ الله ﷻ يقول: إني لأهم بأهل الأرض عذاباً، فإذا نظرت إلى عمّار بيوتني، وإلى المتجهدين، وإلى المتحابين في، وإلى المستغفرين بالأسحار صرفته عنهم)). (٣٣)

#### ١٠- الفَجْرُ:

ضوء الصباح، وهو حمرة الشمس في سواد الليل، وقيل للصبح فجر لكونه فجر الليل، والفَجْرُ في آخر الليل كالشفق في أوّله. وقد أفجّرنا، كما تقول: أصبحنا من الصبح. (٣٤) وأتى القرآن الكريم إلى ذكر الفَجْرِ في خمسة مواضع للإشارة به إلى الرّمن، فأقسم سبحانه بالفجر، مطلقاً، أي فجر كل يوم في قوله تعالى: ((وَالْفَجْرُ\* وَلَيَالٍ عَشْرٍ)) [الفجر/١،٢]. وقيل فيه عدد من المعاني أحدها: أنّ الفجر هو الصبح المعروف، فهو انفجار الصبح الصادق والكاذب، أقسم الله تعالى به لما يحصل به من انقضاء الليل وظهور الضوء، ومثله كان قوله تعالى: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)) [البقرة/١٨٧]. أي حتى يظهر (لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) أي الصادق بيان للخيط



الأبيض وبيان الأسود من الليل شبه ما يبدو من البياض وما يمتد معه من أبيض وأسود في الامتداد (ثم أتموا الصيام) من الفجر (إلى الليل). وثانيها: أن المراد صلاة الفجر نفسها، وأقسم بها لأنها صلاة في مفتتح النهار، فقال تعالى: ((وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)) [الإسراء/٧٨]. فقوله: (وقرآن الفجر) صلاة الصبح (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار في القراءة في الصلاة،<sup>(٣٥)</sup> ومثله قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تُدْرِكُوا الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ)) [النور/٥٨]. كان المراد صلاة الفجر. وثالثها: فجر يوم معين، أن يكون فجر يوم النحر. وفي قوله تعالى: ((سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ)) [القدر/٥]. تمت الإشارة إلى جزء من أجزاء الفجر، في قوله: (مَطَلَعِ الْفَجْرِ). والمعنى أنه يوم ذلك السلام إلى طلوع الفجر، أي وقت طلوعه، وقد يُراد به موضع طلوعه. جاء في نظم الدرر: ((مطلع الفجر: أي طلوعه، ووقت طلوعه، وموضع طلوعه، لا يكون فيه شر كما في غير ليلتها... واختير التعبير بـ(حتى) دون (إلى) ليفهم أن لما بعدها حُكم ما قبلها فيكون المطلع حُكم الليلة)).<sup>(٣٦)</sup>

## ١١- الصُّبْحُ:

الصُّبْحُ: الفَجْرُ. والصَّبَاخُ: نقيض المساء. وكذلك الصَّبِيحَةُ. ويقال: الصُّبْحُ والصبح أول النهار وهو وقت ما احمر الأفق بحاجب الشمس، والتصبح النوم بالعادة، تقول: أَصْبَحَ الرَّجُلُ، وصَبَّحَهُ اللهُ. وصَبَّحْتُهُ، أي قُلْتُ له: عِمُّ صَبَاخًا. وصَبَّحْتُهُ أيضاً، إذا أَتَيْتُهُ صَبَاخًا. وأصبح فلان عالماً، أي: صار. ويقال: أَتَيْتُهُ أَصْبُوحةً كُلَّ يَوْمٍ، وأُمْسِيَّةً كُلَّ يَوْمٍ. وأقْبَيْتُهُ صَبَاخًا وذا صَبَاخٍ. ويقال: تَصَبَّحَ الرَّجُلُ. والمَصْبُوحُ: موضع الإصباح، ووقت الإصباح أيضاً. ويوم الصَّبَاخِ: يوم الغارَةِ. والصبح شدة حمرة في الشعر تشبها بالصبح والصبح، وقيل: صبح فلان أي وضوء. والصباحة: الجمال، والأصْبُوحُ قريب من الأصْهَبِ.<sup>(٣٧)</sup> وكان الأداء بالصُّبْحِ حاضراً في القرآن الكريم، فجاء لفظاً من ألفاظ الزمن في قوله تعالى: ((قَالُوا يَا لَوُطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبْنَا بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَقِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)) [هود/٨١]. فالصبح في الآية الكريمة أمست ميقاتا لنزول العذاب الدنيوي، ولأهميتها في الحدث، تم تكررهما للدلالة على الإسراع في العقوبة.<sup>(٣٨)</sup> وثمة ضدية في الآية بين (الليل) الذي أمسى ميقات لنجاة المؤمنين، و(الصبح) الذي أمسى ميقات لهلاك المجرمين.

ويتخذ (الصبح) نهجا آخر عندما يُشار به إلى اتساع ضوئه في قوله تعالى: ((وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ)) [التكوير/١٨]. ويبين الزمخشري معنى ذلك: ((فإن قُلْتُ: ما معنى تنفَسَ الصُّبْحُ؟ قُلْتُ: إذا أقبل الصُّبْحُ: أقبل بإقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفساً له على المجاز، وقيل: تنفَسَ الصُّبْحُ)).<sup>(٣٩)</sup> ويُعبر عن الصُّبْحِ بالمصدر، فيمسي: (الإصْبَاخُ) ليشير إلى عمود الصبح، وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل في قوله تعالى: ((قَالِقُ الإصْبَاخِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)) [الأنعام/٩٦].

ومثلما وجاء خطاب الصُّبْحِ بالمصدر، جاء خطابه بالفعل في قوله تعالى: ((فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ \* وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ)) [الروم/١٨، ١٧]. فالخطاب بالفعل (تصبحون) يراد به تدخلون الظهيرة في الصباح وفيه صلاة الصبح، وبدت في الآيتين الكريميتين، أربعة أزمنة، هي: المساء، والصبح، وَعَشِيًّا، والإظهار. ((وقيل لابن عباس - رضي الله عنهما - هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم، وتلا هذه الآية (تُمْسُونَ) صلواتا المغرب والعشاء (تُصْبِحُونَ) صلاة الفجر (وَعَشِيًّا) صلاة العصر. و(تُظْهِرُونَ) صلاة الظهر)).<sup>(٤٠)</sup> وفي أسلوب الخطاب بها، يقول العلامة الألوسي: ((قدم الإساءة على الإصباح لتقدم الليل والظلمة، ودم العشي على الإظهار لأنه بالنسبة إلى الإظهار كالإساءة بالنسبة إلى

(الإصباح)).<sup>(٤١)</sup> وقد خصَّ الخالق - سبحانه وتعالى - التسييح بالمساء والصبح بالتنزيه ؛ لأنَّ آثار قدرته وعظمته فيهما بيّنة في قوله تعالى: ((فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ)) فهما متجددان فجاء بالصيغة الفعلية التي تدل على التجدد، وهذه الصيغة جاءت بالفعل المضارع في حين خصَّ الحمد بالعشي والظهيرة ، لأنَّ فيهما تجدد النعم التي تبدو على نحو أكثر، في قوله تعالى: ((وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ)) وفي هذا يقول البيضاوي: إنَّ (تخصيص التسييح بالمساء والصبح، لأنَّ آثار القدرة والعظمة فيهما أظهر، وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار... والظهيرة التي هي وسطه، لأنَّ تجدد النعم فيهما أكثر)).<sup>(٤٢)</sup> أمَّا بشأن تقديم المساء على الصبح، فيقول الفخر الرازي، لأنَّ ((أول الكلام ذكر الحشر والإعادة من قوله (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) إلى قوله (فأولئك في العذاب محضرون) وآخر هذه الآية أيضا ذكر الحشر والإعادة بقوله (وكذلك تُخرجون) والإمساء آخر فذكر الآخر ليذكر الآخرة)).<sup>(٤٣)</sup>

## ١٢- الصَّبَاحُ:

مع أنَّ من العلماء من أفرد الصُّبْحَ عن الصَّبَاح، فقد وجدنا أنَّهما بمعنى واحد، وهو أول النهار.<sup>(٤٤)</sup> بيد أننا التزمنا بما أقرره حفاظا على المنهج الذي سار عليه البحث في الأخذ بما جاء عن العرب في ذكرهم لساعات الليل، والنهار وترتيبهم لها. أمَّا فيما يختص بالخطاب بلفظة (الصَّبَاحُ) في القرآن الكريم، فإنَّه جاءت في موضع واحد في قول الحقِّ تعالى: ((فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ)) [الصافات/١٧٧]. عندما أشار الحقُّ سبحانه به إلى العذاب النازل بالْمُنْذِرِينَ فشبهه بجيش قد أقبل، وقدم الإنذار قبل البدء بهجومه، فباغتهم صباحا، وكانت العرب تسمي الغارة: صباحا، لأنَّ من عاداتهم أن يغيروا صباحا. فجاءت الآية الكريمة على سبيل التمثيل، والمعنى: فسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ صباحهم.<sup>(٤٥)</sup>

وجاء الخطاب بلفظة ((مُصْبِحِينَ)) في خمسة مواضع ، اقتترنت بوقت -غالبا ما- له علاقة بنزول العذاب، منها قوله تعالى: ((وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)) [الحجر/٦٦]. وهي حال من هؤلاء، وقول الحقِّ تعالى: ((فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ)) [القلم / ٢١]. فقوله: مُصْبِحِينَ أي أصبحوا، أو دخلوا في الصباح.<sup>(٤٦)</sup> لتشير إلى وقت معلوم، وهو وقت الصباح.

## ثانيا: سَاعَاتُ النَّهَارِ:

### ١- الشُّرُوقُ:

من ساعات النهار، يقال: شرقت الشمس شروفا، أي طلعت، وقيل: أشرقت أضاعت، والعشي والإشراق: أي وقت الإشراق. والمشرق والمغرب إذا قيلا بالإفراد إشارة إلى ناحيتي الشرق والغرب وإذا قيلا بلفظ التثنية إشارة إلى مطلعي ومغربي الشتاء والصيف ، وإذا قيلا بلفظ الجمع فاعتبار بمطلع كل يوم ومغربه أو بمطلع كل فصل ومغربه، ويقال: مكانا شرقيا من ناحية الشرق. وشجرة شرقية: تطلع عليها الشمس من شروقها إلى نصف النهار. والمشرقة المكان الذي يظهر للشرق.<sup>(٤٧)</sup> وقد كان الخطاب بها بلفظ: الإشراق في قول الحقِّ تعالى: ((إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ)) [ص/١٨]. لتشير إلى وقت صلاة الضحى، فالإشراق هو أن تشرق الشمس، أي: تنضيء، ويصفو شعاعها، وهو وقت الضحى. وقد استدل ابن عباس بهذه الآية الكريمة على وجود صلاة الضحى في القرآن الكريم.<sup>(٤٨)</sup> وذكرت بلفظة (مُشْرِقِينَ) جاء في معاني القرآن: ((ومُشْرِقِينَ إِذَا أَشْرَقُوا. وذلك إذا شرقت الشمس... شرقت: طلعت، وأشرقت: أضاعت)).<sup>(٤٩)</sup> فكان الخطاب بها في موضعين اثنين في قوله تعالى: ((فَأَنْبِئُوهُمْ مُشْرِقِينَ)) [الشعراء/٦٠]. وقوله تعالى: ((فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ)) [الحجر/٧٣] لتشير إلى

وقت شروق الشمس.أو((يراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق. ))<sup>(٥٠)</sup> بحسب ما ذكره الزمخشري(ت٥٣٨هـ).ومن الجدير بالذكر أنّ الخطاب بهما في هذين الموضعين اقترن بموقف الترقّب، والخوف وحصول أمر عظيم.

## ٢ - البكور:

من ساعات النهار، فيقال: البكرة أول النهار، واشتق من لفظه لفظ الفعل، فقيل بكَر فلان بُكورا إذا خرج بكرة. ويكر في حاجة، وابتكر. ويقال: أتيتُه بكرةً، أي باكراً. فإن أريد به بكرة يوم بعينه قيل: أتيتُه بكرةً فتكون غير مصروفة، لأنها من الظروف التي لا تتمكن. وعندما تؤنث تسمى ظرفاً أو مصدراً ويقال: بَكَرْتُ أَبُكْرُ بُكوراً، وبَكَرْتُ تَبْكِيراً، وأَبْكَرْتُ وَاَبْتَكْرْتُ، وَاَبْكَرْتُ، وكلها بمعنى واحد. وباكراً مُبَاكِرَةً، وتصور منها معنى الإسراع والتعجيل لتقدمها على سائر أوقات النهار. من أجل هذا، قيل لكل متعجل في أمر بَكَر، وكل من باذَر إلى الشيء فقد أَبْكَر إليه وبَكَر، أي وقت كان، ورجلٌ بَكَر في حاجته وبَكَر، أي صاحب بُكُورٍ. ويسمى أول الولد بكراً.<sup>(٥١)</sup>

مما تقدّم يمكن القول أنّ وقت (البكرة) في اللغة يكون بين صلاة الصبح، وطلوع الشمس. وجاء أسلوب الخطاب بها في القرآن الكريم بلفظ منفرد لمرة واحدة من دون أن تقترن بساعة من ساعات الليل أو النهار في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ)) (القمر/٣٨). فقوله: ((لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً)) وقت الصبح من يوم غير معين، وجاء في الكشاف: ((بكرة: أول النهار، و بَاكَرَهُ، كقوله: مُشْرِقِينَ، ومُصْبِحِينَ. وقرأ زيد بن علي -رضي الله عنهما-: (بكرة، غير مُنْصَرَفَةٍ)).<sup>(٥٢)</sup> وغالبا ما اقترنت لفظة (بكرة) في القرآن الكريم بلفظتي (الأصيل) و(عشيا) ولم تقترب عنهما، كقوله تعالى: ((وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) (الفرقان/٥). والمعنى، بحسب ما جاء في تفسير التحرير والتنوير: ((أي تملى عليه طرفي النهار. وهذا مستعمل كناية عن كثرة الممارسة لتلقي الأساطير.)).<sup>(٥٣)</sup> فإن (بكرة وأصيل) عبر بهما عن الزمن للإشارة إلى أوائل النهار وأواخره. وتتخذ اللفظتان زما آخر، يختلف عن الزمن المذكور في الآية السابقة، ففي قوله تعالى: ((وَأَذْكَرٍ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) (الإنسان/٢٥). عندما يُشار بهما إلى الصلاة: فبكرة تعني صلاة الفجر، أما أصيلا فتعني: صلاة العصر.<sup>(٥٤)</sup> ومثلما اقترنت (بكرة) بلفظة أصيلا، كذلك الأمر مع لفظة عشيا في قوله تعالى: ((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)) (مريم/١١). فقد أشار إليهم أن تسبيحهم لله يكون بكرة وعشيا، أي: أوائل النهار وأواخره وتأتي (بكرة) بصيغة أخرى، هي (الإبكار) بيد أنها تحتفظ بدلالاتها الزمنية التي تشير إلى أول النهار، وهذا بدا في قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَأَذْكَرٍ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)) (آل عمران/٤١). فلفظتي: (بالعشيّ والإبكار) يُشار بهما إلى أواخر النهار، وأوائله، وهذا يدل على الوقت، وهو البُكْرَةُ. ويمكن الالتفات إلى الاختلاف في أسلوب الخطاب في الآيتين الكريمتين فإن الخطاب: ((فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)) صادر من زكريا عليه السلام موجه إلى قومه، فجاء الخطاب بـ(بُكْرَةً وَعَشِيًّا) في حين أنّ الخطاب في قوله تعالى: ((وَأَذْكَرٍ رَبِّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)) صادر من الحق تعالى، جاء الخطاب (بالعشيّ والإبكار) من ضمن أوامر عليه أن يلتزم بها، جاءت بعد دعائه.

يزاد على ما تقدّم فإن الخطاب بـ(بُكْرَةً وَعَشِيًّا) اقترن بسورة مريم في الآية (١١)، والآية (٦٢) في قول الحق: ((لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)). ولعله يشير إلى تواصل عمل الدارين، وأن عمل الأولى، يعد سبيلا إلى نعيم الآخرة. فإن التزم القوم بما دعاهم إليه نبي الله زكريا عليه السلام من التسبيح (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) فإن عطاءهم في الجنة يكون دائما (بُكْرَةً وَعَشِيًّا). فكان في قول الحق: ((لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا)) (مريم/٦٢). فإنه ((أراد دوام الرزق ودروره، كما تقول: (أنا عند فلان صباحاً ومساءً وبكرةً

وعشياً)، تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين)).<sup>(٥٥)</sup> من أجل ما تقدّم يمكن القول، أنّ هكذا سبيل وجه من وجوه الاتساق في منظومة الإعجاز القرآني في أنّ (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) في الحياة الدنيا - وهما زمن محدود - عندما اقترنتا بالتسييح، مهدتا السبيل للعطاء في الجنة، فأمسيا زماً غير محدود. وصيرّ لهما سمة تعبيرية على نحو خاص في السياق، ضمن السورة المباركة.

### ٣ - العُدْوَةُ:

من ساعات النهار، فيقال: الغدوة، والغداة من أول النهار، وقيل العُدْوَةُ: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. ويقال: أتيتك غداة غدٍ. والجمع العُدَوَاتُ، وعُدَيَانَاتُ. والعُدْوُ: نقبض الرواح. وقد غدا يغدو غُدُوًّا. وغاداهُ، أي غدا عليه. والاعتداءُ: العُدْوُ. والعُدَيَانُ: المُتَعَدِّي. والغداء طعام يتناول في ذلك الوقت، وهو خلاف العشاء. وقد غدوت أغدو، وغد يقال لليوم الذي يلي يومك الذي أنت فيه، والغداية السحاب ينشأ غدوة، أو صباحاً.<sup>(٥٦)</sup> وقيل الغدو بالأصل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِّنَ الْغَافِلِينَ)) [الأعراف/٢٠٥]. فقوله تعالى: ((بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)) أي بالعُدَوَاتِ، فعبر بالفعل عن الوقت، كما يقال: أتيتك طلوع الشمس، أي وقت طلوع الشمس. وقيل: أوائل النهار وأواخره.<sup>(٥٧)</sup> ويذكر الفخر الرازي قولين في معنى (الغدو): الأول: أنّه مصدر، فيقال: أغدو، غدوا، ومنه قوله تعالى: ((وَلَيْسَ لِيَمَانَ الرِّيحِ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ)) [سبأ/١٢]. أي غدو الرياح للسير شهراً ثم سُمي وقت الغدو غدواً، فعبر بالمصدر عن الوقت. أمّا القول الآخر: أنّ الغدو جمع غدوة شأنها في ذلك شأن الغدوات. وقد (خص الغدو والآصال بهذا الذكر، والحكمة فيه أنّ عند الغدوة انقلب الإنسان من النوم الذي هو كالموت إلى اليقظة التي هي كالحياة، والعالم انقلب من الظلمة التي هي طبيعة عدمية إلى النور الذي هو طبيعة وجودية. وأمّا عند الآصال فالأمر بالصد لأنّ الإنسان ينقلب فيه من الحياة إلى الموت، والعالم ينقلب فيه من النور الخالص إلى الظلمة الخالصة، وفي هذين الوقتين يحصل هذان النوعان من التغيير العجيب القوي القاهر)).<sup>(٥٨)</sup>

ومثلما اقترن الغدو بالآصال، كذلك الحال اقترنت بالعشِيّ في قوله تعالى: ((وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)) [الكهف/٢٨]. فقوبل الغدو والعشِيّ، وأريد بهما دوام وقت، أي: (دائبين على الدعاء في كل وقت، وقيل: المراد: صلاة الفجر والعصر)).<sup>(٥٩)</sup> فدلا على وقت معلوم. وكذلك قوبل غُدُوًّا وَعَشِيًّا، في الإشارة إلى وقت معلوم في قوله تعالى: ((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ)) [غافر/٤٦]. فقوله غدوا وعشياً يراد بهما دوام العذاب واستمراره. أو أنّ آلَ فِرْعَوْنَ يُعَذَّبُونَ بالنار في هذين الوقتين. فقد جاء في الكشّاف: ((غُدُوًّا وَعَشِيًّا: في هذين الوقتين يُعَذَّبُونَ بالنار، وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم، فأما أنّ يُعَذَّبُوا بجنس آخر من العذاب، أو ينفس عنهم . ويجوز أنّ يكون (غُدُوًّا وَعَشِيًّا): عبارة عن الدوام، هذا مادامت الدنيا، فإذا قامت الساعة قيل لهم: ادخلوا يا (آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ) عذاب جهنم)).<sup>(٦٠)</sup>

### ٤ - الضْحَى:

من ساعات النهار، فالضحى انبساط الشمس وامتداد النهار، وسمي الوقت به ، وضحوهُ النهار بعد طلوع الشمس، ثم بعده الضحى، وهي حين تشرق الشمس، مقصورة تَوَثَّتْ وتذَكَرَ. والضحاءُ أيضاً: الغدَاءُ، سمي بذلك لأنه يؤكل في الضحاء. ويقولون: هم يَتَضَحَّوْنَ: أي يتغدّون. وليلةٌ ضحياً، وإضحياً: مضيئةٌ لا غيم فيها وكذلك ليلةٌ إضحياً. ويقال: ضاحية كل شيء ناحيته البارزة، وقيل للسماء الضواحي، وضحياء مضيئةٌ إضاءة الضحى.<sup>(٦١)</sup> وجاء الخطاب بها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فهي آية قائمة بنفسها، أقسم بها في قوله تعالى: ((وَالضُّحَى \* وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى)) [الضحى /٢، ١]. فالضحى، تشير إلى أول النهار أو كله، وقد (أقسم سبحانه

بنور النهار كله، من قولهم: ضحى فلان للشمس إذ ظهر لها و يدل عليه قوله في مقابلته (والليل إذا سجي) أي سكن و استقر ظلامه. وقيل: إن المراد بالضحى أول ساعة من النهار. وقيل: صدر النهار، وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس، واعتدال النهار في الحر و البرد في الشتاء و الصيف. وقيل: معناه و رب الضحى و رب الليل<sup>(٦٢)</sup>). وفي قوله تعالى: ((وَالشَّمْسُ وَ ضَحَاها)) [الشَّمْسُ/١]. جاء الخطاب بها عن طريق لفظه (ضحاها) وقد اقترنت بضحى الشمس، وهو صدر وقت طلوعها، وضحى النهار هو صدر وقت حدوثه. وقوله (والشمس وضحاها) فإنه - سبحانه - يُقسم بما خلقه تنبيها على عظيم قدرته، وكثرة الانتفاع بما خلقه، وأن هذا الخلق، يرتبط بطلوع الشمس وغروبها، وقد أقسم الله سبحانه بها، وبضحاها، وهو امتداد ضوئها وانبساطه. وقيل: هو النهار كله. وقيل: حرها. <sup>(٦٣)</sup>

وفي قول الحق تعالى: ((أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَحَى وَهُمْ يَلْعَبُونَ)) [الأعراف/٩٨]. فقد أريد به النهار، لأن الضحى في أصله ((اسم لضوء الشمس إذا أشرقت، وارتفعت)).<sup>(٦٤)</sup> ومثله قوله تعالى: ((قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضَحَى)) [طه/٥٩]. فقوله ضحى، يراد به ارتفاع النهار. وقد قال موسى عليه السلام: {موعدكم يوم الزينة} وهو يوم عيد لهم يتزينون فيه و يجتمعون (وأن يحشر الناس) يجمع أهل مصر (ضحى) وقته للنظر فيما يقع في ذلك اليوم، ومثلما تمت الإشارة إلى المكان في قوله تعالى: ((فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى)) [طه/٥٨]. تمت الإشارة - أيضا - إلى الزمان، وهو وقت ارتفاع النهار. <sup>(٦٥)</sup>

## ٥ - الهَجْرَةُ:

من ساعات النهار، الهَجْرَةُ: نصف النهار عند اشتداد الحر. ومنه: هَجَرَ النهار. ويقال: أتينا أهلنا مُهَجْرِينَ، كما يقال: مؤصلين، أي في وقت الهَجْرَةِ والأصيل. والتَهَجُرُ، والتَهَجُّرُ: السير في الهَجْرَةِ. <sup>(٦٦)</sup> ولم يأت القرآن الكريم إلى ذِكْر هذه الساعة، بصيغها المختلفة.

## ٦ - الظَّهيرة:

من ساعات النهار، الظَّهيرة: وقت الظهر، والظَّهيرة: الهَجْرَةُ. يقال: أتيتُه حَدَّ الظَّهيرة، وحين قام قائم الظَّهيرة. وهي اسم يقال لمنتصف النهار، وتسميته مأخوذة من الظهور الذي تبديه الشمس لنورها فضلا عن شدة حرها. وتقول العرب: أظهر فلان حصل في ذلك الوقت على بناء أصبح وأمسى. والظُّهُرُ: بعد الزوال، ومنه صلاة الظُّهُر. والظُّهُرُ، بالضم: بعد الزوال، ومنه صلاة الظُّهُر. <sup>(٦٧)</sup>

وأتى القرآن الكريم إلى ذِكْر لفظه الظَّهيرة لمرة واحدة في قوله تعالى: ((بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَذُنُكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهيرةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) [النور/٥٨]. وجاء الخطاب في الآية الكريمة بثلاثة أوقات، هي (من قبل صلاة الفجر)، و(الظَّهيرة)، و(من بعد صلاة العشاء) لتشير إلى أمر، أو فعل، يتحكم به الزَّمن، وكان وقت الظَّهيرة واحدا منها الذي يراد بها الهَجْرَةُ، وهي منتصف النهار. <sup>(٦٨)</sup> وجاء الخطاب بها بصيغة الفعل (تُظْهِرُونَ) لمرة واحدة في قوله تعالى: ((وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ)) [الروم/١٨]. ويراد به (حين تظهرون) حين تدخلون في الظَّهيرة، وفيه صلاة الظهر. <sup>(٦٩)</sup>

## ٧ - الرِّوَاخُ:

من ساعات النهار، والرِّوَاخُ: نقيض الصَّبَاح، وهو اسم للوقت يكون من زوال الشمس إلى الليل. واستعير الرِّوَاخُ للوقت الذي يراح الإنسان فيه من نصف النهار، و يكون مصدر قولك راحَ يروح رَوَاخًا، وهو نقيض قولنا

غدا يَغْدُو غُدُوًّا. ويقال: خَرَجُوا بِرَوَاحٍ مِنَ الْعَشِيِّ وَرِيَاحٍ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. والمراد بالرواح في العمل أن يعمل هذا مرة وذلك مرة، ومنه قيل أرحنا إيلنا.<sup>(٧٠)</sup> وكان الخطاب بها في القرآن الكريم لمرة واحدة في قول الحق تعالى: ((وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنَ أَمْرِنَا نُنزِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ)) [سبأ/١٢]. وقوله: (غدوها) أي: مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال (شهر ورواحها) أي: سيرها من الزوال إلى العشي (شهر).<sup>(٧١)</sup>

## ٨ - الْعَصْرُ:

من ساعات النهار، فالعصر: الدهر والجميع العصور، والعصر العشي، ومنه صلاة العصر وإذا قيل العصران، يراد بهما: الغداة والعشي، وقيل: العصران: الليل والنهار، وذلك كالقمرين للشمس والقمر.<sup>(٧٢)</sup> بيد أن أبا هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) يفرق بين الدهر والعصر، عندما يقول: ((الفرق بين الدهر والعصر: أن الدهر هو ما ذكرناه والعصر لكل مختلفين معناهما واحد مثل الشتاء والصيف والليلة واليوم والغداة والسحر يقال لذلك كله العصر)).<sup>(٧٣)</sup> وجاء الخطاب بـ(العصر) في القرآن الكريم لمرة واحدة في قول الحق تعالى: ((وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)) [العصر ١، ٢]. لتشير إلى الدهر أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاة العصر. وتظهر أهميتها في أنها آية قائمة بنفسها، أقسم الحق بها، ((وقال المبرد: في تأويل قوله عز و جل: (وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)). قال: العصر هاهنا الوقت. قال: ويقولون أهل هذا العصر كما يقولون أهل هذا الزمان، والعصر اسم للسنين الكثيرة)).<sup>(٧٤)</sup> وجاء في مجمع البيان: ((والعصر: أقسم سبحانه بالدهر؛ لأن فيه عبرة لذوي الأبصار من جهة مرور الليل، والنهار على تقدير الأدوار، وهو قول ابن عباس، والكلبي، والجبائي. وقيل: هو وقت العشي عن الحسن، وقتادة فعلى هذا أقسم سبحانه بالطرف الأخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله تعالى بإدبار النهار، وإقبال الليل، وذهاب سلطان الشمس كما أقسم بالضحى، وهو الطرف الأول من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس، وإقبال النهار، وأهل الملتين يعظمون هذين الوقتين. وقيل أقسم بصلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى عن مقاتل. وقيل: هو الليل، والنهار. ويقال هما: العصران)).<sup>(٧٥)</sup>

## ٩ - الْقَصْرُ:

القَصْرُ: واحد القُصُور. وقَصْرُ الظلام: اختلاطه، وكذلك المَقْصَرَةُ. والجمع المقاصِرُ. وقد قَصَرَ الْعَشِيُّ يَقْصُرُ قُصُورًا، إذا أمسيت. ويقال: أتيتَه قَصْرًا، أي: عَشِيًّا.<sup>(٧٦)</sup> ولم يأت القرآن الكريم إلى ذكر هذه الساعة، وإنما ذكرت بدلالات مختلفة ليست لها صلة بالزمن.

## ١٠ - الْأَصِيلُ:

الأصل أي العشايا، يقال: للعشية أصيل وأصيلة، فجمع الأصيل أصل وأصال، وجمع الأصيلة أصائل، فيقال: لقيته أصيلاً، وأصلاً، وأصيللاً، وأصيلاناً أي عشياً. ويقال: لقيته مؤصلاً أي داخلاً في الأصيل، وأصل الشئ قاعدته، ويقولون: قد تأصل، ومجد أصيل، وفلان لا أصل له، ولا فصل.<sup>(٧٧)</sup> وجاء الخطاب بالأصيل في القرآن الكريم مقترنا بلفظة (بُكَرَةً) في أربعة مواضع، ولم تفترق عنها، ثلاثة منها، تشير إلى مواقيت الصلاة. الأول: في قول الحق تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا \* وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) [الأحزاب/٤١-٤٢]. أشارت (بُكَرَةً وَأَصِيلًا) إلى التسبيح (وهي الصلاة في جميع أوقاتها؛ لفضل الصلاة على غيرها أو صلاة الفجر والعشاءين؛ لأن أداءها أشق ومراعاته ها أشد)).<sup>(٧٨)</sup> فنذكر الله يكون في الأوقات كافة بحسب ما جاء في الكشف. والثاني: في قول

الحقّ تعالى: ((لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) [الفتح/٩]. أشارتا إلى وقت صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر. يقول الزمخشري: ((وتسبحوا الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) عن ابن عباس رضي الله عنهما: صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر. ((٧٩)). والثالث: في قول الحقّ تعالى: ((وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) [الإنسان /٢٥]. فأشارتا (بكرة وأصيلا) إلى صلاتي الفجر والعصر. أي: ((وَدُمَّ عَلَى صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالْعَصْرِ)). (٨٠)

وفي الموضع الرابع، جاء الخطاب ب(بكرة وأصيلا) لتشيرنا إلى الزّمن مستقلا عن مواقيت الصلاة، أي دائما، أو خفية قبل انتشار الناس (٨١) في قول الحقّ تعالى: ((وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) [الفرقان/٥].

وفي هذه المواضع آثرنا الرجوع إلى الزمخشري، لنبين الاختلاف في بيان المراد من اللفظ عند مفسر واحد، فكيف الحال عند المفسرين مجتمعين. مع مراعاة أنّ السياق هو من يُظهر دلالة اللفظ. من أجل هذا وجدنا الاختلاف في دلالة لفظ (الأصيل) التي ظهر مفهومها عند أهل اللغة في أن وقتها هو وقت (العشي) وتكون بعد صلاة العصر إلى ما قبيل غروب الشمس. فالأصيل: ((الوقت بعد العصر إلى المغرب)). (٨٢)

## ١١ - العِشِيُّ:

العِشِيُّ والعِشِيَّةُ: من صلاة المغرب إلى العَتَمَةِ، وقيل: العِشِيُّ من زوال الشمس إلى الصباح، والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة، ورأى قوم أنّ العِشَاءَ من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، والعِشَاءَن: المغرب والعتمة. ويقال: أتيتُه عِشِيَّ أَمَسٍ وَعِشِيَّةَ أَمَسٍ. وتصغير العِشِيِّ عِشِيَّانٌ، والجمع عِشِيَّانَاتٌ. والعِشَاءُ بالفتح والمد: الطعام بعينه، وهو خلاف الغداء. ويقال: أخذت عليهم بالعِشْوَةِ، أي بالسواد من الليل. وَعِشْوَةٌ: قصدته ليلا. (٨٣) وتتوّع الأداء بالعِشِيِّ في القرآن الكريم، فجاءت منفردة لم يقترن بها لفظ من ألفاظ الزّمن في قوله تعالى: ((إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعِشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِبَادُ)) [ص/٣١]. فالعِشِيُّ: تشير إلى ما بعد الزوال. وجاء الخطاب بالعِشِيُّ مقترنا بالإبكار في قوله تعالى: ((قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَارِ)) [آل عمران/٤١]. تشير العشي والإبكار إلى الصلاة أواخر النهار وأوائله. واقترن بالغداة في قوله تعالى: ((وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)) [الأنعام/٥٢]. فقد قوبل الغداة والعشي، وأريد بهما الصباح، والمساء.

وجاء الخطاب بالعِشِيُّ مقترنا بالإشراق في قوله تعالى: ((إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ)) [ص/١٨]. فالعِشِيُّ تشير إلى وقت صلاة العشاء، والإشراق هو أن تشرق الشمس، أي: تضيء، ويصفو شعاعها، وهو وقت الضحى. (٨٤) ويُعَبَّرُ عن العِشِيِّ بلفظة (عِشِيَّةٌ) وتأتي بعدها لفظة (ضُحَاهَا) في قوله تعالى: ((كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا)) [النازعات/٤٦]. فتمت إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملازمة عندما اجتماعا في نهار واحد، فكانت ((الدلالة على أنّ مدّة لبتهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا، ولكن ساعة منه عِشِيَّةٌ أَوْ ضُحَاهَا)). (٨٥)

## ١٢ - الغُرُوبُ:

الغرب غيبوبة الشمس، يقال غربت الشمس تغرب غربا وغروباً ومغرب الشمس ومغبريانها، والغرب والمغرب بمعنى واحد. ويقولون: لقيته مغبريان الشمس، كأنهم صغروا مغربانا. والجمع مغبريانات. والغروب: الدموع حين خروجها. وغرب أي بعد؛ ويقال: اغرب عني، أي تباعد. (٨٦). وكان الخطاب ب(الغروب) في القرآن الكريم في قول الحقّ تعالى: ((فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ)) [ق/٣٩]. أي

(قبل طلوع الشمس) صلاة الصبح (وقبل الغروب) أي صلاة الظهر والعصر. وفي قول الحق تعالى: ((فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ)) [طه/١٣٠]. ارتبطت ساعات النهار، والليل بمواقيت الصلاة، فقوله: (قبل طلوع الشمس) صل صلاة الصبح، أي الفجر، (وقبل غروبها) صلاة الظهر، والعصر؛ لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها (ومن آناء الليل) ساعاته، صل المغرب والعشاء (وأطراف النهار) أي صل الظهر؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس، فهو طرف النصف الأول، وطرف النصف الثاني.<sup>(٨٧)</sup> ومع أن الآية الكريمة عبرت عن الأوقات بصيغ: (قبل طلوع الشمس)، (وقبل غروبها)، (ومن آناء الليل)، (وأطراف النهار)، فإنها تشير إلى ساعات النهار، والليل، ولكن بصيغ أخرى غير التي أتى البحث إلى ذكرها. وثمة اختلاف آخر في أسلوب الخطاب في الآيتين المباركتين، يشير إليه الكرمانى عندما يقول: ((قوله: قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) وفي طه: (وقَبْلَ غُرُوبِهَا)؛ لأن في هذه السورة راعى الفواصل، وفي طه، راعى القياس، لأن الغروب للشمس كما أن الطلوع لها)).<sup>(٨٨)</sup> من هنا جاء الخطاب على هذا النحو.

مما تقدم يمكن القول إلى أن العرب التفتوا إلى الفروق الجزئية للزمن - على نحو عام - والفروق الجزئية لساعات الليل، والنهار - على نحو خاص -، فعلى سبيل المثال، يظهر ((الفرق بين البكرة، والغداة، والمساء، والعشاء، والعشي، والأصيل: أن الغداة اسم لوقت، والبكرة فعلة من بكر بيكر بكورا. ألا ترى أنه يقال: صلاة الغداة، وصلاة الظهر، والعصر، فتضاف إلى الوقت، ولا يقال: صلاة البكرة، وإنما يقال: جاء في بكرة كما تقول جاء في غدوة، وكلاهما فعل مثل النقلة، ثم كثر استعمال البكرة حتى جرت على الوقت. وإذا فاء الفيء: سُمِّيَ عشيّة ثم أُصِيلَ بعد ذلك، ويقال فاء الفيء: إذا زاد على طول الشجرة. ويُقال: أتيت عشيّة أمس، وسأتيه العشيّة ليومك الذي أنت فيه، وسأتيه عشي غد بغير هاء، وسأتيه بالعشي والغداء، أي: كل عشي وكل غداة، والطفل وقت غروب الشمس، والعشاء بعد ذلك، وإذا كان بعيد العصر، فهو المساء ويُقال: للرجل عند العصر إذا كان يبادر حاجة. قد أسميت، وذلك على المبالغة)).<sup>(٨٩)</sup>

وهذا مفهوم للفروق الجزئية للزمن، ظهر في القرآن الكريم في أثناء الخطاب بساعات الليل، والنهار، وبين دقة التوظيف للألفاظ، وهكذا سبيل يشير ((إلى أن الخصائص اللغوية المشتركة بين فئة من الناس هي التي تحدد المعنى. إذ من خلال معرفتنا المعجمية والتركيبية والدلالية يتوصل إلى ضبط معنى النص، فالخصائص اللغوية تؤدي إلى الفهم والتأويل في استقلال تام، واستغناء مطلق عن البيانات الخارجية، لأنها مستمدة من المواضع العمومية للاستعمال)).<sup>(٩٠)</sup> مع ملاحظة الاختلاف عند اللغويين والمفسرين مجتمعين في تحديد الأفق الزمني لعدد من تلك الساعات.

وثمة ساعات الليل والنهار أتى القرآن الكريم إلى ذكرها، لم يلتفت إليها العرب ضمن تلك الساعات، كلفظة: (الفلق) في قول الحق تعالى: ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)) [الفلق/١]. ولها عند العرب دلالات متعددة منها: الفلق: الصبح بعينه، يقال: فلَقَ الصبحُ فالقهُ. وقلق الله الصبح، والحب والنوى. ويقولون: الفلق، الشق، وشق الشيء وإبانه بعضه عن بعض. ويقال فلقتة فانفلق، والفلق أيضاً: المطمئن من الأرض بين الربوتين، وجمعه فُلُقَانٌ. ويقال مررت بجرّة فلوق، أي شقوق. والفلق بالكسر: الداهية والأمر العجب. وشاعر مفلق يأتي بالفلق وهو العجب.<sup>(٩١)</sup> وقدّم المفسرون معاني متعددة للفظ: (الفلق) في قوله تعالى: ((قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)) [الفلق/١]. فقالوا أنها الصبح، وقالوا الخلق كله، وقالوا أنها الأنهار المذكورة في قوله تعالى: ((أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا)) [النمل/٦١]. وقالوا أنها الكلمة التي علم الله تعالى موسى فلق بها البحر. وقالوا أن الفلق وإد في جهنم.<sup>(٩٢)</sup>



يزاد على ذلك ذُكرت ألفاظ زمنية لساعات النهار، والليل. أتى إليها القرآن الكريم، تمثلت نفردا في أسلوب الخطاب، كلفظة: (دلوك) التي يرى الفراء (ت ٢٠٧هـ) أنها في اللغة يرادُ بها غروب الشمس، حين يقول: ((ورأيت العرب تذهب بالدلوك إلى غياب الشمس)).<sup>(٩٣)</sup> وقد جاء الخطاب بها في قوله تعالى: ((أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)) [الإسراء/٧٨]. فقوله تعالى: (( أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ)). أي من وقت زوالها، فدلوك الشمس. يراد به: ميلها للغروب. ((جاء عن ابن عباس، قال: هو زيغوغتها وزوالها للظهر)).<sup>(٩٤)</sup>

وثمة أنماط، تشير إلى الزمن القصير بوصف الزمن أوقات متوالية مختلفة أو غير مختلفة عُبر عنه بارتداد الطرف في قوله تعالى: ((قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)) [النمل/٤٠]. ((وارتداد الطرف حقيقته: رجوع تحديق العين من جهة منظورة تحوّل عنها لحظة. وعُبر عنه بالارتداد؛ لأنهم يعبرون عن النظر بارتداد الطرف، وإرسال النظر، فكان الارتداد استعارة مبيّنة لذلك)).<sup>(٩٥)</sup> الغاية مئة استقصار مدة المجيء، والإشارة إلى السرعة التي ترتبط بالزمن.<sup>(٩٦)</sup>

## - الخاتمة:

بعد أن عرض البحث لساعات الليل، والنهار في القرآن الكريم، ظهرت في أثناءه ثمة نتائج، يمكن إيجازها على النحو الآتي:

- بدا في البحث أسلوب الخطاب بساعات الليل، والنهار في القرآن الكريم ، ودلالاتها - بوصفها ألفاظا للزمن - اعتمادا على ثوابت تلك العلاقة في اللغة، والسعي لاستكناه مضامينها.
- أشار البحث إلى أنّ أسلوب الخطاب بساعات الليل والنهار، وتقديم ساعة على أخرى ضمن النص، إنّما يتسق مع منظومة الإعجاز البياني للقرآن الكريم.
- بيّن البحث أنّ من ضمن ما ورد في القرآن الكريم، ألفاظ للزمن، تختص بساعات الليل، والنهار وهي تختلف فيما بينها من حيث المدة الزمنية الذي تشير إليه، بيد أنّ الجامع لها أنّها تدلّ على الزمن طال أو قصر، فالسياق هو الذي، يوضح الدلالة الزمنية كلفظة (الساعة) في قول الحقّ تعالى: ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ)) [الروم/٥٥].
- كشف البحث عن عدد وافر من ألفاظ الزمن في القرآن الكريم تختص بساعات الليل، والنهار، كالشفق، والغسق، والزُّلْفَةُ، والسَّحَرُ، والفجر، والصبح، والإصباح، والشُّرُوقُ، وبُكْرَةٌ، والغدو، والضحي، والظهيرة، والرواح، والعصر، والأصيل، والعشي، والغروب .
- وجد البحث أنّ ألفاظ الزمن (ساعات الليل، والنهار) ترتبط بأمرين لهما علاقة ببعض: الأمر الأول: الإدراك. والأمر الآخر: اللون. ويمكن أن نبين تلك العلاقة عن طريق الالتفات إلى أنّ الأفق الزمنيّ، يُعدُّ مُدركا حسيًّا، يقترن بدلالة لونية، وبوساطتهما (المُدْرِكُ، واللون) يتم حدّ الساعة الزمنية، وبيان مقدارها في الأفق، ومن ثمّ حدّ الزمن (الليل، والنهار) وساعاتهما. فكان الاختلاف عند علماء اللغة في معاجمهم، والمفسرين في بيان الدلالة الزمنية للفظ على وجه الدقة.
- أشار البحث إلى ارتباط مسميات (ساعات الليل، والنهار) في القرآن الكريم بمواقيت الصلاة ، كونها تشير إلى أمر تعديدي.
- كشف البحث عن وجوه الاتساق في منظومة الإعجاز القرآني على سبيل المثال: في لفظتي (بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا) في سورة مريم، عندما وردتا في موضعين، في الموضع الأول: كان الخطاب بهما في الحياة الدنيا - وهما زمن

محدود من ساعات الليل والنهار - فافتقرنا بالتسبيح ، ثم مهدتا السبيل للعتاء في الجنة في الموضوع الآخر، فأمسيا زما غير محدود. مما صير لهما سمة تعبيرية على نحو خاص في السياق، ضمن السورة المباركة.

- التفتت البحث إلى أن ألفاظ الزمن في القرآن الكريم التي تختص بساعات الليل، والنهار. عبّر عنها -على الأغلب- بالثابت: الاسم، لأنها تشير إلى مواقيت معلومة ثابتة ضمن الزمن الكلي، وإن كانت متغيرة ضمن الزمن الجزئي لليوم (الليل، والنهار).

### الهوامش:

- (١) النوار في اللغة: ٥٧٩-٥٨٠. والصاح: (مادة: زمن). وأساس البلاغة: ١٩٦.
- (٢) الفروق في اللغة: ٢٦٣. وينظر: الزمن عند الشعراء العرب: ٦٣-٦٤.
- (٣) التعريفات: ١١٧-١١٨. وينظر: دائرة المعارف: ٩/٢٤٤-٢٤٦.
- (٤) العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي: ٤١.
- (٥) فقه اللغة وأسرار العربية: ٢٢٣.
- (٦) ينظر: كتاب الألفاظ: ٣٦٥. المفردات: ٣٣٠. ولسان العرب: (مادة: سوع).
- (٧) الفروق في اللغة: ٢٦٥.
- (٨) المفردات: ٣٣٠.
- (٩) دلائل الإعجاز: ٣٨.
- (١٠) مجهول البيان: ٩٩. وينظر: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي: ١٦.
- (١١) ينظر: الصاح: (مادة: ليل).
- (١٢) معاني القرآن: ٢/٢٤. وينظر: الكشاف: ٦/٢٨٤. وجاء في تفسير الفخر الرازي: ٣٧/١٨: ((والقطع من الليل بعضه، وهو مثل القطعة يريد اخرجوا ليلا لتسبقوا نزول العذاب الذي موعده الصبح: قال نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخبرني عن قول الله (يقطع من الليل) قال هو آخر الليل سحر، وقال قتاده: بعد طائفة من الليل، وقال آخرون هو نصف الليل، فإنه في ذلك الوقت قطع بنصفين)).
- (١٣) المفردات: ٦٦١.
- (١٤) مجمع البيان: ٢/١٨٠.
- (١٥) ينظر: روح المعاني: ١٩/٢٨-٢٩.
- (١٦) مجمع البيان: ٢/١٥٢.
- (١٧) المفردات: ٣٥٠.
- (١٨) ينظر: الصاح: (مادة: شفق).
- (١٩) مجمع البيان: ١٠/١٧٠. وينظر: جماليات الأداء باللون في القرآن الكريم.
- (٢٠) تفسير البحر المحيط: ٨/٤٣٩-٤٤٠. وينظر: تفسير الفخر الرازي: ٣١/١٠٩-١١٠. ونظم الدرر: ٢١/٣٤٦.
- (٢١) الصاح: (مادة: غسق). والمفردات: ٤٧٤.
- (٢٢) ينظر: معاني القرآن: ٢/١٨٩. والكشاف: ٣/٥٤١-٥٤٢. ونظم الدرر: ٢٢/٤١٠.
- (٢٣) مجمع البيان: ١٠/٢٧٩. وينظر: معاني القرآن: ٣/٣٠١.
- (٢٤) العين: ٢/١١٣٦.
- (٢٥) الصاح: (مادة: عتم).
- (٢٦) العين: ٢/٨٠٥. والصاح: (مادة: سدف).
- (٢٧) الصاح: (مادة: فحم).

- (٢٨) العين: ٧٧٢/٢، والصاح: (مادة: زيل). وروح المعاني: ١١/١٠٧.
- (٢٩) الصاح: (مادة: زلف)، والمفردات: ٢٨٥.
- (٣٠) الكشّاف: ٣/٢٤٢، وينظر: التحرير والتنوير: ١٢/١٧٩.
- (٣١) الصاح: (مادة: بهر).
- (٣٢) المفردات: ٣٠٢، وأساس البلاغة: ٢٠٤، وتفسير الفخر الرازي: ٧/٢١٨-٢١٩.
- (٣٣) مجمع البيان: ٢/١٤٣.
- (٣٤) الصاح: (مادة: فجر)، والمفردات: ٤٩١، لسان العرب: (مادة: فجر).
- (٣٥) ينظر: الكشّاف: ٦/٣٦٧، وتفسير الفخر الرازي: ٣١/١٦٢.
- (٣٦) نظم الدرر: ٢٢/١٨١، وينظر: تفسير الفخر الرازي: ٣٢/٣٧.
- (٣٧) الصاح: (مادة: صبح)، والمفردات: ٣٦٢.
- (٣٨) الكشّاف: ٣/٢٢٢.
- (٣٩) المصدر نفسه: ٦/٣٢٥.
- (٤٠) المصدر نفسه: ٤/٥٧٠.
- (٤١) روح المعاني: ٢١/٤٥.
- (٤٢) تفسير البيضاوي: ٧/٣٨٠.
- (٤٣) تفسير الفخر الرازي: ٢٥/١٠٨.
- (٤٤) ينظر: الصاح: (مادة: صبح)، والمفردات: ٣٦٢.
- (٤٥) ينظر: الكشّاف: ٥/٢٣٧.
- (٤٦) ينظر: معاني القرآن: ٢/٩٠، وإملاء ما من به الرحمن: ٢/٧٦، وتفسير البحر المحيط: ٨/٣٠٦.
- (٤٧) المفردات: ٣٤٤، وأساس البلاغة: ٢٣٤.
- (٤٨) ينظر: الكشّاف: ٥/٢٤٩.
- (٤٩) معاني القرآن: ٢/٩٠.
- (٥٠) الكشّاف: ٥/٢٥٠.
- (٥١) ينظر: الصاح: (مادة: بكر)، والمفردات: ٨٥، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ١٤٣.
- (٥٢) الكشّاف: ٥/٦٦١.
- (٥٣) تفسير التحرير والتنوير: ١٨/٣٤٥.
- (٥٤) ينظر: الكشّاف: ٦/٢٨٤.
- (٥٥) المصدر نفسه: ٤/٣٥.
- (٥٦) ينظر: النوادر في اللغة: ٥٩٢، والصاح: (مادة: غدا)، والمفردات: ٤٧١-٤٧٢.
- (٥٧) ينظر: المفردات: ٤٧١-٤٧٢.
- (٥٨) تفسير الفخر الرازي: ١٥/١١٣.
- (٥٩) الكشّاف: ٣/٥٨٠، وجاء في تفسير البحر المحيط: ٦/١٣، نقلًا عن عدد من العلماء: أنّ الغداة والعشي إشارة إلى الصلوات الخمس، أو أنهما إشارة إلى صلاتي الفجر والعصر، أو يُراد بهما العموم: أي أنهم يدعون ربّهم دائماً.
- (٦٠) الكشّاف: ٥/٣٥١.
- (٦١) ينظر: الصاح: (مادة: ضحو)، والمفردات: ٣٨٦، وتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٥١٨.
- (٦٢) مجمع البيان: ١٠/٢١٢.
- (٦٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠/٢٠٥-٢٠٦.
- (٦٤) الكشّاف: ٢/٤٧٩.

- (٦٥) ينظر: البحر المحيط: ٢٣٧/٦. ونظم الدرر: ٣٠٢/١٢. روح المعاني: ٢١٩/١٦.
- (٦٦) الصحاح: (مادة: هجر).
- (٦٧) ينظر: الصحاح: (مادة: ظهر). والمفردات: ٤١٨-٤١٩. ولسان العرب: (مادة: ظهر).
- (٦٨) ينظر: مجمع البيان: ١٣٩/٧.
- (٦٩) ينظر: الكشّاف: ٥٧٠/٤.
- (٧٠) ينظر: الصحاح (مادة: روح). والمفردات: ٢٧٦.
- (٧١) ينظر: الكشّاف: ١١١/٥.
- (٧٢) ينظر: كتاب الألفاظ: ٣٦٥. والمفردات: ٤٤٣-٤٤٤. وأساس البلاغة: ١١٩.
- (٧٣) الفروق في اللغة: ٢٦٥.
- (٧٤) المصدر نفسه: ٢٦٥.
- (٧٥) مجمع البيان: ١٠/٢٤٤.
- (٧٦) الصحاح: (مادة: قصر).
- (٧٧) ينظر: المفردات: ٣٤. وأساس البلاغة: ٧.
- (٧٨) الكشّاف: ٧٧/٥.
- (٧٩) المصدر نفسه: ٥٣٧/٥.
- (٨٠) المصدر نفسه: ٦/٢٨٤.
- (٨١) المصدر نفسه: ٤/٣٣٣.
- (٨٢) لسان العرب: (مادة: أصل).
- (٨٣) ينظر: النوادر في اللغة: ٥٩٢. والصحاح: (مادة: عشا). والمفردات: ٤٤٢.
- (٨٤) ينظر: الكشّاف: ٥/٢٤٩.
- (٨٥) المصدر نفسه: ٦/٣١٢.
- (٨٦) النوادر في اللغة: ٢٦٣. والصحاح (مادة: غرب). والمفردات: ٤٧٢-٤٧٣.
- (٨٧) ينظر: الكشّاف: ٤/١١٩.
- (٨٨) أسرار التكرار في القرآن: ١٩٦.
- (٨٩) الفروق في اللغة: ٢٦٥-٢٦٦.
- (٩٠) مجهول البيان: ١١٠.
- (٩١) ينظر: الصحاح: (مادة: فلق)، وأساس البلاغة: ٣٤٧.
- (٩٢) ينظر: معاني القرآن: ٣/٣٠١. والمفردات: ٥٠٧. والكشّاف: ٦/٤٦٤. والبحر المحيط: ٨/٥٣٢-٥٣٣.
- (٩٣) معاني القرآن: ٢/١٨٩.
- (٩٤) المصدر نفسه: ٢/١٨٩. وينظر: المفردات: ٢٣٠.
- (٩٥) تفسير التحرير والتنوير: ١٩/٢٧١.
- (٩٦) الكشّاف: ٤/٤٥٦.

### - روافد البحث :

- القرآن الكريم .
- أساس البلاغة: الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت- لبنان
- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- أسرار التكرار في القرآن: الكرمانلي، محمود بن حمزة بن نصر (من أعلام القرن السادس الهجري) تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، ط ١، دار بو سلامة، تونس، ١٩٨٣م.
- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الأعراب والقراءات في جميع القرآن: العكبري، عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت ٦١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، د.ت.
- ترتيب كتاب العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ط ١، انتشارات أسوه، قم-إيران، ١٤١٤هـ.
- التعريفات: الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحنفي (ت ٨١٦هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ٢٠٠٩م.
- تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي (ت ٧٥٤هـ) تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- تفسير البيضاوي: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد (ت ٦٨٥هـ)، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ١٩٩٠م.
- تفسير التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الشافعي (ت ٦٠٤هـ)، ط ١، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم: سميح عاطف الزين، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٤م.
- جماليات الأداء باللون في القرآن الكريم: د. نوري كاظم الساعدي، مجلة كلية التربية للبنات، مجلد ٢٠ (١)، ٢٠٠٩م.
- دائرة المعارف: بطرس البستاني، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، محمود بن عبدالله الحسيني (ت ١٢٧٠هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: عبدالإله الصائغ، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٢م.
- الصحاح: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي بمصر.
- الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥هـ)، ط ٣، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، ١٩٧٩م.
- فقه اللغة وأسرار العربية: الثعالبي، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت ٤٩٢هـ) تحقيق وتقديم: د. يحيى مراد، ط ١، مؤسسة المختار، القاهرة، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩م.
- العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي: د. عبدالواحد حسن الشيخ، ط ١، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- كتاب الألفاظ: ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ) تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط ١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ١٩٩٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- لسان العرب: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، أمين الإسلام الفضل بن الحسن (ت ٥٨٤هـ)، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨م.
- مجهول البيان: د. محمد مفتاح، ط ١، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٠م.
- معاني القرآن: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، ط ٣، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

-المفردات في غريب القرآن:الراغب الأصفهاني،الحسين بن محمد(ت٥٠٢هـ)تحقيق: إبراهيم شمس الدين ،ط١،مؤسسة الأعلمي،بيروت،١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:البقاعي،أبو الحسن إبراهيم بن عمر(ت٨٨٥هـ)،دار الكتاب الإسلامي، ودراسة:د.محمد عبدالقادر أحمد،ط١،دار الشروق،بيروت-لبنان،١٤٠١هـ-١٩٨١م القاهرة- مصر.-النوادر في اللغة:أبو زيد الأنصاري،سعيد بن أوس(ت٢١٥هـ)،تحقيق.